دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

توجيهات رهبانية
(٢)

إرشادات روحية للرهبان

الأب متى المسكين

كتاب: إرشادات روحية للرهبان.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ٢٠٠١.
الطبعات اللاحقة من الثانية إلي الثالثة: ٢٠٠٢الي ٢٠٠٨.
الطبعة الثالثة: ٢٠١٢.
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٣٨١ / ٢٠٠١
رقم الإيداع الدولي: ISNB 977-240-095-2
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:
دار مجلة مـــــرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

- ١ -

رسالة إلى الآباء الرهبان

- اثبتوا في قلاليكم بطقس الرهبان. فالراهب لا يخرج من قلايته إلاَّ لضرورة قصوى، لخدمة مجمعية فُرضت عليه، للصلاة... إلخ. ثم يعود مُسرعاً إلى قلايته، مُسرعاً مُسرعاً ليُصلي ويسجد ويقرأ ويبكي.
- وليكن خروج الراهب مُطقَّساً ودخوله مُطقَّساً وذهابه إلى الجبل مُطقَّساً، وليس للَّف والدوران على الجبال بدون عقل؛ بل ساعة واحدة لا تزيد خارج الدير كل يوم في مكان معلوم يعرفه جميع الإخوة، ويعلمون أن الراهب الفلاني يخرج إلى الجبل كل يوم من الساعة الفلانية إلى الساعة الفلانية، وهو يذهب إلى المكان الفلاني بتحقيق ولا يُغيِّره على الإطلاق.
- أنتم لم تخرجوا من العالم لتنعشوا أجسادكم بالتنزُّهات والفُسَح، ولا خرجتم لتعملوا في الأرض ولا في الطين؛ ولكن لتحيوا حياة سريَّة مع المسيح، وتكتشفوا عيوبكم وأخطاءكم وخطاياكم، وتكتسبوا بمذلتكم واتضاعكم رحمة الله ومؤازرة الروح القدس لتجديد الحياة ولِبْس الثياب البيض، وإكليل الجهاد المقدس.

- الخلاص في العالم، وبالأخص في هذه الأيام، أمر عسير جداً جداً، ولكن الخلاص في الدير لإنسان جاهل أحمق لا يجمع بضاعته كل يوم ويحسب مكسبه وخسارته يكون أيضاً صعباً. وحاشا لكم أن تختاروا الجهالة وأنتم حكماء وقد وهب لكم الله كل إمكانيات الخلاص والمعرفة الصادقة غير الغاشة. ولكن أُحذركم أن المعرفة وحدها لا تُخلِّص، ولا الفهم الجيد ينفع شيئاً إذا لم يكن للإنسان سيرة مقدسة عملية داخلية، يزيدها كل يوم لهيباً على لهيب، في كل لحظة في طول النهار له شيء يحكم به طبيعته، فإذا خرج خارج القلاية يكون إما رابطاً بطنه بالصوم أو رابطاً لسانه بالصمت أو رابطاً عقله بالصلاة.

- وإذا دخل قلايته يستحضر خطاياه ويرصها أمامه أكواماً أكواماً، وعلى كل كوم يكتب الصنف ولا يكف عن البكاء والملامة إلى أن يُطلِق المسيح نفسه بقيامة صادقة يحسها بقوة تتحرك فيه على الدوام.

- ما أخف نير المسيح إذا لم يحاول الإنسان أن يخففه، وما أهون صليبه إذا لم يحاول الإنسان أن يُنقِص منه.

- أسرار الطريق لا تُكشف إلاّ للسائرين فيه، ومهما تصوَّر الإنسان نفسه أنه يعرف شيئاً عن أسرار الطريق ولا يكون ماسكاً لتدبيره بكل قلبه وعقله ومُخضعاً جسده وإرادته وهواه لقانون المسير وطقسه، فمعرفته تكون مخالفة لحقيقة المسير ولا تفيد غيره شيئاً.

وأول ما يضع رجليه على الطريق ويخضع من كل قلبه لنير المسيح بكل قوانينه ووصاياه، يبتدئ يرى ويكتشف بمنتهى الوضوح أسرار الطريق، وليس فقط ما يلزمه في كل خطوة؛ بل وما يلزم حتى نهاية الطريق. وأما الذي يريد أن يتحكّم فقط بالمعرفة ويكشف الروحيات ليتمجد بها، فإن معرفته كلها مجتمعة لا تسعفه أن يخطو خطوة واحدة صادقة على الطريق.

- الأمانة للمسيح تتحقق في القلب ويذوق منها الإنسان كل مشتهاه حينما يوقف الإنسان حياته كلها لعبادته، ويجمع كل مشاعره ويقدِّمها له، ويخصص أبهج أوقاته وأفراحه لتسبيحه.

ومن هنا يتحتّم أن يسهر الإنسان على أفكاره واهتمامات قلبه وشهواته وعواطفه ويحكمها ببأس حتى لا تتسرب وتخدم أية غاية إلاّ المسيح شخصياً، حتى خدمة الضعفاء والشيوخ والغرباء والمساكين ينبغي ألاّ تسلب عواطفنا أو اهتمامات قلوبنا عن شخص المسيح، لئلا تصير الخدمة نفسها ندًّا للمسيح ومتاهة نتوه في طريقها المتشعب الذي لا نهاية له، لأن الخدمة والعطف والمحبة تتسرب لإراحة الذات حينما نستزيد من واجباتها أكثر من واجبات العبادة الداخلية للرب يسوع شخصياً.

- إذا سرتَ أو كنتَ سائراً بناموس الطريق وكنتَ خاضعاً لكل قوانينه وصلواته، ولم تحسّ في قلبك بحركة الروح، ولم ينفتح ذهنك بقبول أسرار التدبير، فاعلم يقيناً أنك لست أميناً

للمسيح، وقد وضعتَ هدفاً لعبادتك وخدمتك وصلواتك مخالفاً للرب.

أمانتك للمسيح هي في عدم إشراك أي هدف مهما كان صالحاً في عبادتك خلاف شخص الرب وحده. تحوُّلك عن أمانتك للمسيح يبتدئ بفكرة خدمة الآخرين أو اشتهاء كرامات الكهنوت والوظائف الكنسية بحجة خدمة المسيح، هذا كذب وخداع الذات. إن كنت تعبد المسيح حقًّا وقدَّمت له حياتك فلا تشتهي شيئاً سوى عبادتك له وعبادتك له فقط. وفرحك بعبادة المسيح سيملأ حياتك ويكون برهاناً صادقاً على أمانتك له، فلا تعود تشتهي شيئاً في الوجود إلاَّ عبادته. وسيرة الذين تركوا خدمة الناس، والذين تركوا حتى الأسقفيات لعبادة المسيح في السكون والوحدة؛ تشهد بذلك.

- أخطر تجربة ستمر بك حتماً هي دينونة الناس وذم تدبير الإخوة والرئيس؛ فإذا أعطيت لهذه التجربة فرصة وفسحة في التفكير والهمِّ، فهي ستهدم نفسك، وتنهي على عبادتك، وتحرمك من كل تعزية. الحقيقة أن الناس فعلاً يعملون أعمالاً معثرة، والإخوة يتدبرون بلا فهم ولا عقل ولا حكمة، والرؤساء يسودون على الرعية بحكم مناصبهم دون أي إحساس أنهم أيضاً خراف، ولكن أنت مُطالَب بنفسك فقط. وإساءات الناس والإخوة والرؤساء إذا قبلتها في صمت زادت خلاصك؛

وطاعة كل مَنْ له عليك ولاية، إنْ كان قد أخذها بدالة المحبة أو برسم التدبير الجسداني أو الروحاني، فلن تؤذيك إذا كانت عبادتك الداخلية حارة وأمانتك للمسيح لا تنازعك فيهما شهوة أخرى.

- الشكوى للإخوة من الإخوة أو من المدبِّر علامة أكيدة أنك لم تعرض أمرك على المسيح في صلاتك، وهي برهان أن أفكارك وحواسك غير محكومة من النعمة، وعبادتك مفصولة عن حياتك، وصلاتك برسم الطقس فقط وتأدية الواجبات. الشكوى عملية تثبيت للدينونة، وهي عملية فضح لنفس الآخرين وتبرير كاذب للذات؛ فإذا كشفتَ ضيقة نفسك أو طلبك لله في الصلاة، لعلمتَ أنك أنت المُسيئ والمُخطئ، وإن كان الأمر يخصك فهو لمنفعتك.

السيرة الرهبانية والسكون في القلاية أعظم مرشد في الحياة، وأي جاهل أو أي تافه أو أي عديم الحكمة أو عديم الصبر أو عديم الاحتمال إذا أَخْلَص في عبادته للمسيح في سكون القلاية والاعتكاف، يعرف كيف يتدبَّر من النعمة إلى أن يصل إلى إنسان كامل في المسيح، ويكون قادراً أن يجعل كل الظروف المعاكسة والعثرات وأتعاب الآخرين وسوء تدبير الناس حوله يخدم خلاص نفسه، فتكون الصلاة دائماً هي سلاحه.

- العين المستعلية التي تطلب الكرامة تشهد على نفسها أنها عاطلة

عن المسير في الضيق ولا تطلب كرامة المسيح ولا تشتهي بالحق تمجيده وهي مشغولة بكرامة نفسها. هذه النفس خالية من النعمة وليس لها نصيب مع القديسين، والمسيح يشبعها من كرامات الناس حسب شهوتها جزاءً لعبادتها التي تؤديها لهذا الغرض، فهو لا يزال يستجيب لها أن تستوفي أجرها؛ أما شركتنا في مجد المسيح فلن تذوقه هذه النفس، لأن شركة مجد المسيح هي أجر لِمَنْ تألم وأُهين وأُهدرت كرامته وسُلبت حقوقه وشبع مهانة ومذلّة عن رضا وفرح من أجل السرور الموضوع أمامه.

- الذي له سيرة داخلية طاهرة نيِّرة يكتفي بعزائه الداخلي ولا يطلب له مزيداً من الخارج، فهو يرفض تكريم الناس له بشدة وحزن لأنه يعلم بالخبرة والحق أن مثل هذا العزاء يحرمه من العزاء الداخلي؛ لذلك تجده يتصاغر عن سنه حتى لا يُكرَم كشيخ، ويتصاغر عن عمله حتى لا يُكرم كحكيم، ويتصاغر عن مواهبه حتى لا يُحاسب كقديس أو كصالح أو كرجل الله، ويتمادى في ذلك لأنه بقدر ما يرفض من العزاء الخارجي والكرامة التي يتفضل بها الناس عليه يزداد في عزائه الداخلي ويتفرغ أكثر لتكريم المسيح بالعبادة الطاهرة التي تُشعِل نفسه كالنار.

- والذي يتعزَّى بسيرة عبادته لا يتفرغ إلاَّ لتكميل حقوقها وواجباتها، ولا يعود ينتظر سلاماً من الخارج، لأنه لن يكون له

سلام في العالم؛ وإذا حاول أن يمهِّد لـه جوًّا حوله من الهدوء والسلام يفشل ويرتبك سلامه الداخلي، لأنه يستحيل أن يُضاف سلام الله الذي من الداخل إلى سلام الناس الذي من الخارج. والذي يطمع أن يزيد سلامه الداخلي (سلام الله الداخلي) بسلام من الخارج، يُنزع منه الذي من الداخل شيئاً فشيئاً، والذي من الخارج يزول مع الريح.

- طريقك الذي أنعم به المسيح عليك طريقٌ مهوب ومُكرَّم جداً، وبقدر ما تكرمه وتوفيه حقوقه يظهر لك عِظَم قدره، ولا تعود تحتمل مجرد التأمل فيه، لأنك تُذهل كيف فتح لك المسيح طريقه الملكي الذي دشَّنه بالدم الإلهي ونصب فيه صليبه وسرَّ قبره لتعبر عليهما وتجوزهما وترتاح عليهما وفيهما. طريقك سرِّيٌّ لا يراه سواك، وإذا حاولت أن تُشرك أحداً فيه معك تخرج منه في الحال وتوضع في طريق العامة الواسع دون أن تدري. وإذا أقحمت نفسك في طريق غيرك، تُضرب بشدة لأن حراسة طريق المسيح لا تزال بيد الشاروبيم بلهيب سيف متقلّب.

- القلب موضع الغفران ومكان حلول الروح القدس، وفيه تجري كل حركات المسير نحو الله، فهو أقدس مكان لك في هذا العالم حيث تجري كل معاهدات الله معك؛ فلا تفتحه بدون احتراس أو اكتراث لكي يعبث الناس فيه بعواطفهم الميتة.

فالقلب الذي صار لله لا يصح أن يأخذ أو يُضاف إليه شيء من الناس، وهو يعطي فقط لأنه جدير بالعطاء كأحشاء رحمة، كنبع عطف ومحبة خادمة باذلة. وفي اللحظة التي يطلب فيها قلب الراهب من الناس رحمةً أو عطفاً عِوَض عطفٍ، أو محبةً عِوَض محبةٍ؛ تكفُّ نعمة الله عن الفيض فيه ويمتنع روح الله عن تعزيته وملئه. وهو يُعطي الآخرين لأنه يمتلئ من عطية الله؛ أما إذا لم يأخذ من الله، فهو يدَّعي كذباً أنه يُعطي الآخرين، وهو في حقيقة الأمر يُعطي من نفسه ليأخذ لنفسه.

- النفس التي بدأت تسير في الطريق وتمنطقت بعزم الإرادة وقطعت كل رُبُطها التي تشدُّها إلى الأرض والأهل والعالم وانطلقت إلى الأمام لا تنظر إلى الخلف؛ يصير لها شكل المسافر على الدوام. إنْ جَلَسَت تأكل فقلبها يكون في الطريق، وإنْ قامت بعمل أو خدمة ففكرها مربوط في الأُفق أمامها، وإنْ نامت فباستعداد القيام كل لحظة. لا تهنأ براحة ولا بالمسامرات ولا بأحاديث الماضي لأن عينها مشغولة بالآتي، والصلاة عندها تصير أعظم عمل وأكرم خدمة وأهم واجب لأنها جوهر المسير. وكل كلمة في الصلاة، وكل رفع قلب، وكل تنهُّد، وكل قرع صدر، وكل دمعة عين والعين مرفوعة إلى السماء؛ تمثِّل عبورها فرسخاً من فراسخ الطريق. فإنَّ قَرْع الناقوس يكون بمثابة الموسيقى التي تُلازم الجيش في سفره الخطر فتزكِّي

قلب الجنود وتلهب حماسهم ليشدّوا الخطوة ويرفعوا رؤوسهم وينطلقوا وكأن صوت الموسيقى بمثابة قوة سريَّة سَرَت في كيانهم؛ هكذا يكون صوت الناقوس حينما يدق لرفع الصلاة عند الإنسان السائر.

- المسافر حمله خفيف، وهو يُدقِّق أقصى ما يمكن أن لا يحمل شيئاً فوق الحاجة، وروح العبور لا يُفارِق ذهنه ويجعله يستهين بأهم الأشياء في عُرف الناس. فطلبات المسافر توزَن بميزان دقيق، دقيق غاية الدقة، وكل إنسان له مقياسه؛ ولكن إن قطع الإنسان مرحلة من الطريق بنجاح، فإنه يزداد معرفة وحساسية بالذي يُطلب والذي لا يُطلب، والذي يُقتنى والذي لا يقتنى.
- وأما الجالسون في قعر بيوتهم، فلا يكفُّون عن الطلب، واستعمال أشياء وأكل أشياء بلا حساب ولا ميزان ولا تدقيق، وكل يوم يزدادون في طلب أشياء جديدة، وكأنهم يزدادون رجوعاً وينمون إلى الوراء.
- إذا توغَّل المسافر في سفره لا يعود يرتاح إلاَّ في المسير والإسراع فيه، ويفقد كثيراً جداً من حساسيته الأولى نحو جسده والاهتمام بصحته ومرضه، لأن قوة سريَّة تحلُّ فيه بدل الحياة الجسدية، وهي تغذيه سرًّا بالرجاء حتى أن جسده نفسه يزداد قوة فعلاً كلما ازداد عوزاً ومرضاً. وسروره بوضوح الهدف الذي يسعى نحوه يوماً عن يوم يجعله يستهين بأتعاب ومشقات

وتجارب يستحيل أن يحتملها أقوى إنسان في العالم. ويحسُّ في نفسه أن ثقل جسده وتعطُّله تسبَّب في إنبات جناحين تطير بهما النفس، فيتلذَّذ برقاده مطروحاً على الأرض من شدة ضعفه وانحلال جسده، لأن روحه تكون محلِّقة على الدوام بخفة متناهية، ويتهيَّأ له أنه يمكن أن يطير، وفعلاً هو يطير وإنما ليس بالجسد.

- قساوة القلب وعناد النفس وتعظُّم العقل يجعل الإنسان يتصوَّر أنه يمكنه أن يصنع ويُمارس كل الأمور الروحية، ويجترئ فعلاً أن يتممها؛ ولكنه للأسف ويا للحزن الشديد، يزداد بواسطتها جفافاً، ويزداد قساوةً وعنادًا وتعظُّماً، وتؤول كل جرأته إلى صغر نفس وضعف شديد في الروح وحيرة وبلبلة، وتختفي كل معالم الطريق من أمام النفس حتى يكاد الإنسان ينكر أنه يوجد طريق!!

- فأعمال وجهادات وواجبات طقس الطريق واحدة، ولكن يوجد إنسان يُمارسها في أمانة وإخلاص باتضاع وخوف وتكريم شديد وتوقير لأبسط الأعمال والقوانين؛ وحينئذ يُستعلن له سرُّها وعظمتها الحقيقية، ويوهَب قوة نظير أمانته. أما الذي يُمارسها كمقتدر، وكأنه يلعب ويمرِّن نفسه وجسده ويوفي واجباتها التافهة، فإنه يُحرم من سرِّها ويُحرم من قوتها، وتزداد صعوبتها عنده حتى يأتي وقت يُعدم القدرة على

ممارستها مهما صارع وتجلّد فيها.

- طياشة العقل وتشتُّت الفكـر أثنـاء الصلاة وأثنـاء بقيـة أوقـات التأمُّل شاهدة ضدك أنه ليس لـك محبـة للمسيح ولا أمانـة ولا جدية السعي والسـفر، لأن عقـل الإنسـان يجري وراء القلـب. والقلب العـامر بأمانـة المسيح وحبه، والمهتم بالمسير وكميته وسرعته وهدفه، يكون صاحياً بشدة كالحارس والديدبان الذي لا يغفل ولا يغمض عيناً، لأن الإحسـاس بالاهتمـام والمسئولية يربط العقل ولا يجعله يتزحزح عن مكان عملـه وخدمتـه. فأمـا الذي يستهين بسفره وهدفـه، وليس لـه مخافة بـأحوال العبـور والنجاح والسقوط، ولا يتربَّى في قلبه أمانة مطلقـة بـالرب، ولم يلتهب قلبه بحب المسيح؛ فإنه إذا حاول أن يمسـك عقلـه دقيقـة واحـدة لا يستطيع، فـإذا رفعـه للسـماء ينحـدر في لحظـة إلى النجاسة، وإذا ربطه بالقراءة يخرج كما دخل. وأما الذي أحنـى عنقه وأحنى عقله لمخافة الله ولتدبير السيرة باتضـاع، فإنـه مـن أول يوم يُمنح سيادة العقـل جزئيـاً، وهـي تـزداد بازديـاد المحبة المُخلِصة للرب التي تُشعل القلب وتُلهبه.
- الله يشاء أحياناً كثيرة أن يترك الإنسان لضعفه حتى تُذَل نفسـه وتنسحق، فيطلب أن يُرضي الـرب بالأعمـال والجهـاد والسـهر والدمـوع والصـلاة والخدمـة، فـلا يجد ولا يُمنـح روحـاً حتـى لا يستطيع أن يُكمل شيئاً بالمرة. فكلما يُحـاول أن يُتمـم عمـلاً

يتركه ناقصاً حتى يُدرك الإنسان أنه ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروح الله يعمل الإنسان أعمال الله مهما كانت بسيطة. وفي هذه الأوقات الصعبة يصير إنسحاق قلب الإنسان وقبوله المذلة الحادثة له من الله ورضاه بالعجز وصبره على الحرمان، بمثابة مسير غير إرادي على الطريق، وهو أكرم في عُرْف الجهاد وأسراره من المسير الإرادي، لأن تأديب الرب زكي جداً.

- كسل الإنسان يُفسح للنعمة فرصة للتخلية السريعة، ويعمي الإنسان ويقول إن الله تركني والنعمة تخلّت عني؛ والحق ليس كذلك، فالإنسان هو الذي تكاسل، وإهماله هو السبب. ولكن إذا ندم الإنسان سريعاً وتذلّل واعتذر وقدَّم صلاة بتطويل، ترضَى به النعمة حالاً وتقبل نشاطه وتزيد من عندها أضعافاً.

- وأسرار السفر على الطريق وأصوله تُحتِّم أن يكون للإنسان علم بطقس السفر في كل لحظة، يجعله في قلبه أو في عقله أو في جسده، إما خفياً أو ظاهراً، حتى لا يسهو الإنسان لحظة وينسى أنه غريب عابر يطلب الوطن الأبدي.

- تأدية قوانين القلاية وتكميل خدمات الصلاة لها حدود إذا خرجت عنها لا تفيد الإنسان شيئاً، بل تزيده برودة، بل كبرياء، بل ثقة كاذبة، بل عبادة إسمية. وحدودها أن تكون برسم العبور من العالم، وإيفاء نذور الغربة يوماً فيوماً وتقديم

نيَّة الموت عن العالم. فإن كانت بروح التضرُّع والتوسُّل، فلكي يفكَّ المسيح قيود النفس والجسد من شهوات العالم، ويصفح عن جهالتها السابقة في ثقتها الكاذبة بإمكانية الاستيطان في العالم لمجد الذات. وإن كانت الصلوات للطلب، فيكون مرتكزاً على رجاء وعد الله لميراث الملكوت. وإن كانت للشكر والتسبيح، فيكون بسبب ما أكمله الله حتى الآن ليفكّنا من العالم ويكمل مسرَّته فينا، تلك المُستحقة كل تمجيد وشكر.

- وهكذا فقوانين الخدمة والصلاة هي تحرُّك ودفع مستمر للعبور، لذلك فهي مسيرة حقيقية. أما الذي يكمل خدمته وصلواته ابتغاء شيء آخر فهو تائه.

- إذا توقَّفت النفس عن الجهاد الحقيقي، وأَلْقَتْ عصا السفر بغواية الراحة أو شهوات أخرى؛ تبتدئ الصلوات والخدمات تأخذ صورة العمل فقط كواجب اعتاد عليه الفكر أو الجسد، ولا يحس الإنسان بروح العبور والسير والغربة، وتخف شهوته في الانتقال والاستيطان عند الرب، ويعود إلى قيئه الأول أي العالم وخدمته وناسه وكراماته وتعزياته وراحاته، وينجذب إلى خدمته حيث تكون تجربة خروجه النهائي عن الطريق وتوقُّف المسير إلى الأبد. وهو يحس بكل ذلك في نفسه ويدرك خطورة الأمر؛ ولكنه يسكر بالشهوة، ويُجاذب ويضحك على نفسه، ويُصلي أن يُحافظ الله عليه في العالم ويُعزيه، ويُوافق له إكراماً

لخدمته وخلاص الآخرين، بينما نفسه هو لم يُشرق عليها نور الحياة بعد، ولا نالت العتق من الخطايا والشهوات الفاسدة. فإذا نزل الإنسان إلى العالم، أدرك مصيبته التي اشتراها لنفسه بشهوته، حيث يُقيِّدوه بقيودٍ من حديد يعتادها هو بعد قليل.

- روح السفر، روح العبور، روح الغربة، روح الانتقال والارتحال المستمر؛ تحفظ قلب الإنسان وعقله وجسده، وتجعله ينزعج من أي محاولة أو فكر يطرأ عليه للقيام بأي خدمة أو عمل يستغرق منه أكثر من ساعة أو يوم داخل الدير. أما النزول إلى العالم في مأمورية حتمية من أجل الدير أو لمرض أو حاجة طارئة ضرورية، فهي تستلزم استعدادًا داخلياً وسهراً حتى يربط الإنسان كل حواسه ويُهيئ نفسه للتجربة. لأن الوجود في العالم هو ضد روح الغربة، وطبيعة العالم وخدمته وراحته وتسلياته تسلب من المسافر روح السفر. فإذا لم يستطع العالم أن يقنع المسافر بإلغاء السفر جملةً فهو يقنعه على الأقل بخطئه ويتركه مضعضعاً مهموماً، يحتاج إلى معونة السماء لتضعه عند النقطة التي توقَّف عندها.

- خدمة المذبح والصلاة في القدَّاس والاشتراك في سرِّ الذبيحة وطقسها كرامة مهولة. إذا دُعِيَ إليها الإنسان، فليس ذلك عن استحقاق حتى لو كان في نقاوة الشاروبيم والسيرافيم. فالكاهن يُدنِّس الهيكل بقلبه ويُنجِّس المذبح بيديه وهو لا يدري، ولولا

حلول الله لما تقدَّست الذبيحة. شناعة أن يشتهي الإنسان أن يكون كاهناً أو شماساً أو مُرتِّلاً، لأن هذه ليست مجالاً لطلب الكرامة، والذي يحسُّ بخطاياه ونجاساته يرتعب من الدنو من مقدَّسات الله. ولكن حينما يأذن الله للإنسان، يُكفِّر عن إثمه ويسمح له بالدخول والخدمة؛ أما الذي يجترئ، فهو يُفسد نفسه.

- الذي يستنكف أن يخدم الهيكل مع آخر أقل منه، أو يرفض أن يُشارِك الخادمين في خدمتهم بحجة عدم استحقاقه في الظاهر، وهو في الحقيقة يُضمر ترفُّعه عن الخدمة والخادمين؛ يكون في الواقع قد ازدرى بقداسة الخدمة، وازدرى بالهيكل والمذبح والذبيحة. إن خطراً عظيماً وغضباً إلهيًّا يترصَّد القلب المتعظِّم على عمل الله وخدمة أسراره.

ولكي يقطع الله حجة الإنسان الذي يتوارى فيها لحجب نفسه عن الخدمة، أي علّة عدم الاستحقاق والنجاسة والخطايا والآثام؛ أعلمنا الله أن المسيح نفسه هو خادم السرّ ومُكمِّله: "خذوا كُلُوا هذا هو جسدي... خذوا اشربوا هذا هو دمي...". وحينما يتناول الكاهن أول لقمة أو أول شربة، يتقدَّس ويصير أهلاً أن يُعطي القُدْس للآخرين. إذا وُضعت الضرورة على كتف الإنسان، فويل له إن لم يُكمل الخدمة؛ ولكن إذا لم يكن هناك ضرورة، فلا يطلبها الإنسان لنفسه، لأنه ليس أحدٌ كُفؤاً من ذاته أن يكمل خدمة الله حتى ولو كان رئيس ملائكة.

- والذين يشتهون الخدمة ويُقحمون أنفسهم فيها لإظهار مواهبهم، تتخلّى عنهم القوة الإلهية؛ فيزدادون جمالاً عند الناس، ويزدادون قُبحاً لدى الروح، ويصير مديح الناس لهم هو كل المكافأة التي ينالونها من خدمة الله.

- أما الذي يخدم بروحِ الاضطرار وهو مرعوب ومُرتعب، ويتوسل بدموع أن يُعفى؛ فهذا خدمته شهية لدى الملائكة، وهم يشتركون معه بفرح ويشجِّعونه حتى يكمل عمله.

- الله لا يهمه ذوي المواهب، فهو يحب ويُفضِّل دائماً الضعفاء والمساكين والذين لا جمال فيهم، ويقبل الغبي والعديم القدرة. وإن كان أصحاب الساعة الحادية عشرة هم أردأ مستوى في دائرة العمال، ولكنه أحبهم وأعطاهم أجوراً كاملة، فلم يتسبب عجزهم وضعفهم وقلة عملهم في خفض جزائهم. ولكن الله يكره الضعيف المجترئ كما يكره المتعظِّم المتخاذِل، والذي يخضع لاختيار الله بدون زيادة ولا نقصان ينجو من التأديب والملامة.

- وحدة الروح في الجماعة العائشة لله تنمو من الداخل، والانسجام يبدأ من تقارُب السيرة الداخلية. فكلما اجتهد الإنسان في سيرة جهاده الخاص مع الله يحسُّ بقُربه من الآخرين. فالصلاة والدموع ومحبة المسيح القلبية تجعل الإنسان شديد الصلة بالآخرين، ويحسُّ بكيان الناس في أعماقه. أما محاولة توحيد روح الجماعة بالنظام والكلام والترتيب والطقس،

فينتهي بالفشل كأي نظام بشري مآله إلى الزوال. كذلك محاولة تكوين وحدة روحية بالمحبة الظاهرة وأعمال البذل فقط بدون الصلاة الداخلية، فإنها تنتهي كعمل بشري لأن المحبة الروحية لا تنشأ إلاَّ من الصلاة.

- قوة المجمع في وجود قلوب تصلّي بالروح والحق، وهيبة الدير تتعلّق بالرُّكَب المنحنية في الخفاء في محابسها والدموع التي تجري وتنحدر على الأرض. الذي يحفظ أسوار الدير ليس عدد الذين بداخلها، بل طهارة القلوب التي تحيا في ظلها. والذي يُرسل الخيرات في ميعادها بحسب الحاجة إليها، ليست الأموال المرصودة ولا الأيدي المتحننة، لكن مسكنة الضمير والاستعداد للموت من أجل حب المسيح، والأمانة في عبادته في أرض مقفرة ومكان غير مسلوك.

- التدبير الصالح في الجماعة لا يقوم على أساس الاهتمام براحة الأجساد، ولكن على أساس الاهتمام بسيرتهم الداخلية. والمكاسب المادية مهما عظمت لا تساوي نفساً واحدة تجلس فاشلة في عبادتها بسبب العثرة الروحية. فالإنسان الذي يُقدِّم جسده حتى يحترق في بذل الخدمة لإراحة أجساد إخوته، لا يكون قد قدَّم شيئاً إلاَّ إذا كانت له سيرة وصلاة وحب مُستمد من المسيح، حتى لا يضع قلبه على الربح الجسدي؛ بل يكون همُّه خلاص النفس. وإذا واجه الإنسان خسارة مادية بسبب

سوء تدبير المسئول فلا يغتم، لأننا عتيدون أن نخسر كـل شـيء وقد وضعنا منذ البدء في قلبنا أننـا قـابلون خسـارة كل شـيء. يكفينا أمانتنا للمسيح، لأن غلبتنا على العالم تتوقف أخيراً علـى شيء واحد لا نخسره هو إيماننا - كما يقول يوحنا الرسـول - وفيما عـدا إيماننـا، فسـوف نـترك كـل شـيء أو يتركنـا، حتـى الجسد نفسه سيستعفي وينطرح على التراب ولا يقوم.

- بقدر ما هو هيِّن على النفس احتمال الخسارات الناتجة عن سهو القديسين وعدم اعتبار أصحاب السيرة الروحانيـة، لأن فكرهـم يكون غير صالح للجسديات؛ بقدر ما هو قبيح بالإنسان الـذي لم يَصِر له هذيذ روحاني ولا سيرة متعمِّقة في النعمـة ويستهين بالجسديات، وتتأتّى منه خسارات بسبب عدم تدقيقه وتقديره للأمور. والذي لا يتعوَّد التدقيق في الأمور الجسدية الصغيرة، لا يتعوَّد التدقيق في الأمور الروحية الكبيرة. اذكروا قـول المسـيح: «الأمين في القليل أمين أيضاً في الكثير» (لو ١٦: ١٠)، «كنـت أميناً في القليـل فـأُقيمك علـى الكثير» (مـت ٢٥: ٢١و٢٣). والقليل دائمـاً كنايـة عـن الجسـد، أمـا الكثير فهـو كنايـة عـن الروح!

(فبراير ١٩٦٦)

الأب متى المسكين

– ٢ –

إرشادات روحية للآباء الرهبان

◆◈✟◈◆

١. غيِّر نفسك ولا تحاول بل ولا تفكِّر في تغيير غيرك.

٢. عدِّل نفسك لتُلائم المكان الذي وضعك الله فيه، ولا تحاول ولا تفكِّر في كيف تعدِّله ليُلائمك، لئلا تظل طول حياتك تعدِّل ولا تستريح.

٣. لا تنظر للآخرين نظرة متحزبة: هذا يوافقك، وهذا لا يوافقك؛ هذا تكلِّمه، وذاك تعبِّس في وجهه؛ هذا تضحك معه، وذلك لا تحاول حتى أن تبتسم في وجهه؛ هذا تطيِّب خاطره، وهذا تودُّ لو تكسر خاطره. يا مرائي، يا كذَّاب، تعلَّم كيف تعيش المسيحية، ولا تتحزَّب لإنسان، ولا لذاتك. عامِل الجميع معاملة واحدة بالحب الصادقً غير المغشوش، وبالبذل الحقيقي الذي مصدره التقوى، التقوى الحقيقية غير المصطنعة.

٤. لا تحسب أنك واحد في مجمع قديسي الدير؛ بل احسب نفسك خادم تراب الدير، وهذا شرفٌ لك. واعتبر مجمع الآباء كما لو أنهم أسيادك بالفعل.

٥. لا تنظر إلى ديرك كأنه أفضل من غيره؛ بل اعتبر كل الأديرة وكل الرهبان أفضل منك.

٦. لقد أرسلك الله إلى الدير لتخدم قديسيه وتخدم ترابه، وتموت بين جدرانه؛ لذلك أحبب ديرك من كل قلبك، وكمِّل خلاصك بخوفٍ ورعدة، وكُن مثالاً مقدَّساً وصورةً مقدسة للراهب المسكين المتضع.

٧. لا تملأ عينيك من الأوضاع الخاطئة، ولا تفتح أُذنك لكلام الانحلال، حتى تنجو من الدينونة ومن مذمة أفعال الناس. انسَ كل كلام الناس وأقوالهم ومناظرهم قبل أن تدخل قلايتك لتعيش مع المسيح، لئلا يعشعش الشيطان في قلايتك ويحوِّلها إلى جحيم.

٨. لا تجلس تتحدث بالكلام النافع وغير النافع، فتبدأ الحديث بالمديح لبعض الناس ثم تنهيه بالذم والنميمية للبعض الآخر. من الآن لا تمدح أحداً، ولكن تشبَّه بِمَنْ يعجبك بدلاً من أن تصف أعماله بالكلام الفارغ من التطبيق.

٩. لا تضع مسئولية خلاصك على أبيك الروحي، فحالما يأتيك هذا الشعور، اعلم أنك متوانٍ وكسلان ومتهرِّب من قوانين العبادة والصلاة، ومبتعد عن وجه المسيح. إذا أخلصتَ في عبادتك، فسوف لا تعود في حاجة إلى مساندة الآخرين لك،

وستجد أن عشرة المسيح تغنيك وتجعلك تُغني الآخرين.

١٠. إذا أهملتَ مشورة أبيك الروحي وتهاونت بتحذيراته ونصائحه التي طالما أوصاك بها، فمصيرك أن تشرب عُكارة كأس الاعتداد بالذات، ثم في الطريق تصدِّق كلام الشيطان كأنه كلام المسيح، وتسير في التيه مسافات طويلة دون أن تنتبه.

١١. اليوم الذي تجد فيه حرارتك الروحية ضعيفة وقد بردت الصلاة من قلبك، وسلامك الداخلي تبدَّد؛ احذر ثم احذر من تحمُّل مسئولية أي عملٍ عام، أو من إعطاء أوامر أو نصائح للآخرين، لأنها ستكون عديمة القوة، عديمة النعمة، إذ يستطيع الشيطان أن يتكلَّم بفمك بسهولة في هذا اليوم، ويُوقِع بك بمحظورات كثيرة. ولذلك يجب عليك، في هذا اليوم، أن تلزم الصمت والحزن على روحك، جاعلاً خطاياك أمام عينيك طول النهار.

١٢. هذا الكلام هو لك أنت ولا تحوِّله لغيرك، فتقول في نفسك أن البند الفلاني ينفع فلاناً. فكل البنود هي لك أنت، فاعمل بها لتحيا، وتأكل خبز الصدقة بمسكنة.

(يوليو ١٩٦٩م)

الأب متى المسكين

- ٣ -

"أنا طبعي كده. أنا متعود على كده. أنا أخلاقي كده"
"وأنا أصل طبيعتي كده. أنا عادتي كده. أنا مزاجي كده"

• إذا تلفَّظ الراهب بهذا الكلام: "أنا طبعي كده. أنا متعود على كده. أنا أخلاقي كده. وأنا أصل طبيعتي كده. أنا عادتي كده. أنا مزاجي كده"، فهو في الحقيقة يجحد رهبانيته كلها، ويُغلق على نفسه مرة واحدة كل المنافذ المؤدية إلى نعيم الحياة الرهبانية وهدفها.

• فالحياة الرهبانية هي حياة توبة. والتوبة تقوم على أساس واحد، وهو قدرة الإنسان على تغيير نفسه لملاءمة الحياة الأبدية، سواء من جهة مبادئه، أو أفكاره، أو أعماله، أو عاداته، أو مزاجه. ولكن هذا التغيير أو هذه التوبة تدفعها وتغذيها قوة أخرى هي قوة النعمة بفعل الروح القدس السرِّي في الإنسان. وذلك لأن التغيير أصلاً هو لحساب الله، فهو تغيير من الوضع الجسدي إلى الوضع الروحي، من الحياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح، من طبيعة التراب إلى طبيعة السماء.

• إذن، فالرهبنة في حقيقة جوهرها هي تغيير مستمر في طبيعة

الإنسان، لينتقل كل يوم وكل ساعة من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح بمؤازرة الروح القدس؛ ولكن على أساس إرادة التغيير التي يؤمن بها الراهب ويُخلِص لها. فإرادة الرهبنة هي هي إرادة التغيير. وإرادة التغيير يلزم أن تشمل كل ناحية في طبيعة الإنسان وأخلاقه وعاداته وأفكاره، بحيث إذا امتنع الراهب عن تغيير طبيعته أو أخلاقه أو مزاجه الجسداني الذي ورثه من بيته ومن بيئته، فهو يحكم على رهبنته بالتوقُّف، ويحرم نفسه من مفاعيل الروح القدس وحرارته، ذلك الروح الذي يتولَّى تجديد طبيعتنا وتحويلها إلى طبيعة روحانية ذات صفات وأخلاق روحانية جديدة.

علاقة الراهب بالمعمودية:

قولٌ لأحد الآباء:

[قيل عن أحد الآباء الذين أُهِّلوا للمناظر الروحانية، أنه قال: **رأيتُ القوات التي تحلّ على المعمودية واقفة على الراهب عند لباسه الإسكيم**].

ويُعلِّق القديس فيلوكسينوس على ذلك بقوله:

[إن هذه القوة لها ثلاثة مفاعيل أو ثلاث قوات:

- الفعل الأول أو القوة الأولى: هي **الفرح** الذي يعطيه الروح للمتعمِّد.
- الفعل الثاني أو القوة الثانية: هي **الحرارة** (الغلوة).

- الفعل الثالث أو القوة الثالثة: هي **طهارة القلب** ونور الذهن.

وهذه الثلاثة تحلُّ على الراهب. فأما قوة الفعل الأول والثاني إذا حلّت على الراهب، فإنها تعطيه معونة على تكميل وصايا طقسه الرهباني. فإذا أكملها حلّت عليه القوة الثالثة التي تعطيه أثناء جهاده طهارةً من الأفكار والأوجاع، فيؤهَّل للرؤيا أو النظر الروحاني].

والقديس مرقس الناسك يُسمِّي هذه القوة الثالثة "**قوة الروح السمائي**"، وهو يقول:

[لذلك لا ينبغي، أيها الإخوة، أن نعطي لأنفسنا راحةً حتى تحلّ علينا هذه القوة التي من العُلا، لأنها هي التي تعطي نقاوة القلب. فالمسيح يقول: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يُعاينون (ينظرون) الله»].

ويعود القديس مرقس الناسك فيقول:

[إن هذه القوة أو الفعل الثالث للروح، هي التي قال عنها المسيح: «فليأتِ ملكوتك»!! و«ملكوت الله يأتي بقوة». هذه هي القوة التي يستحقها الراهب بعد أن يكون قد جاهد من أجلها ويحسّها في قلبه خفيًّا بإعلان].

ويعود القديس فيلوكسينوس ويُعقّب على ذلك بقوله:

[إن هذه القوات الثلاث التي رآها الشيخ تحلُّ على الراهب في بدء رهبنته هي من فعل الروح الواحد].

إذن، فالعلاقة بين الرهبنة والمعمودية علاقة جوهرية، لأن نفس القوة الروحية ونفس المفاعيل السريَّة التي تحلُّ على المتعمِّد هي بعينها التي تحلُّ على الراهب.

- فالرهبنة هي كمال المعمودية أو هي استعلان لمفاعيلها الروحانية علانية، حيث يتعهَّد الراهب أثناءها أن يثبِّت وجهه نهائياً نحو ملكوت السموات في حياة جديدة بقيادة الروح القدس، بكل خضوع وطاعة كإطاعة المسيح لما اقتاده الروح القدس من الأردن إلى البرية ليُجرَّب من إبليس.
- الراهب بقبوله الشكل الرهباني يتعهَّد أن لا يُقتاد بعد بمزاج طبيعته وعاداته؛ بل يُقتاد بالروح القدس كابن لله، لأنه في هذه اللحظات يتخلَّى نهائياً عن بنويته لأبيه وأُمه ليلتصق بالرب، فيصير معه روحاً واحداً، فيتم قول الإنجيل: «الذين وُلِدوا ليس من دمٍ، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله» (يو ١٣:١)، «وأما مَن التصق بالرب فهو روح واحد.» (١كو ١٧:٦)
- المتعمِّد يجحد الشيطان في المعمودية ليدخل تحت حماية روح الله، والراهب بقبوله الشكل الرهباني يجحد رباط الدم ومشيئة

الجسد ومشيئة الرجل؛ ليقبل رباط دم المسيح ومشيئة الجسد المكسور على الصليب ومشيئة الروح القدس وقيادته. فالمنقادون بروح الله هم أولاد الله (رو ٨: ١٤).

- الراهب برسامته يموت عن بشريته، فلا يعود ابن أبيه وأُمه، بل ابناً لله؛ وذلك ليس بالكلام أو بالفكر أو بالتأمل والأماني، ولكن بالتخلي الفعلي عن كل ميراث الدم ومشيئة الجسد ومشيئة الرجل.

- الراهب أول عمل يباشره في حياته بعد قبوله الرهبنة هو أن يموت عن شكله الأول، أي يجحد كل مزاجه وأفكاره وطباعه وعاداته ويتهيَّأ بكل قوة وعزم وتصميم لكي يلبس صفات الروحانيين. وكما أنه يستحيل على المتعمِّد أن يُعمِّد نفسه، كذلك يستحيل على الراهب أن يرهبن نفسه أو يُلبِس نفسه صفات روحانية. فإن كان يتحتم أن يُسلِّم نفسه تحت يد أب روحاني لكي يُلبسه الإسكيم الرهباني، كذلك يتحتم أن يُسلِّم ذاته تحت يد أب روحاني ليُلبسه صفات الروح القدس ومواهبه. لذلك فإن الراهب الذي لا يخضع خضوعاً كليًّا لتدبير أب روحاني يُرشده ويُدبره تحت قيادة الروح القدس، فإنه يبقى بصفات وأخلاق أُمه وأبيه، أي أخلاق هوى الدم ومشيئة الجسد ومشيئة الرجل. ومعروفٌ جيداً بحسب قول بولس الرسول: «إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله» (١ كو

١٥ : ٥٠). لذلك فالراهب الذي يتحفَّظ على أخلاقه وصفاته وعاداته وأمزجته التي ورثها عن أبيه وأُمه، عسيرٌ عليه أن يُعاين ملكوت الله، ويستحيل أن يُشرق عليه نور الروح القدس في قلبه أثناء حياته على الأرض؛ لأن المنقادين بروح الله هم فقط أبناء الله. فإذا لم نُسلِّم كل طبيعتنا لتدخل تحت تأديب الروح وغسل النعمة ليل نهار، وإذا لم ينفتح قلبنا وعقلنا لكل مشورة نكتسب بها صفات روحانية جديدة؛ فإننا نبقى مظلمين ويبقى ملكوت الله غريباً عنّا. وإذا متنا، نبقى هناك في ظلامنا نتخبَّط في جهالاتنا إلى الأبد.

من أين نستمد إرادة التوبة، أي إرادة التغيير؟

طبعاً نستمد إرادة التوبة **من الصليب!!**

فالصليب هو "قوة للخلاص"، كما يقول الإنجيل، وبدون الصليب ليس خلاص. لذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يجتاز الإنسان من حالة جسدية إلى حالة روحانية إلاَّ بالموت.

فالمعمودية التي هي أساس الميلاد الجديد أو الخلقة الجديدة هي حالة موت: «إن كنا قد مُتنا معه فسنحيا أيضاً معه» (٢تي ٢ : ١١)، «فدُفِنّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة» (رو ٦ : ٤). فإن كان المتعمِّد يتحتم عليه أن يجوز الموت بالإيمان لكي يقوم ويحيا مع المسيح بالإيمان، فكذلك الراهب يتحتم عليه أن يجوز الموت بالإرادة والعمل

ليحيا مع المسيح بالفعل، كما مات المسيح على الصليب بإرادته فعاش لله. **فكل مرة يموت الراهب فيها عن إرادته ومشيئة هواه، يموت بالفعل مع المسيح وينتقل معه من الموت إلى الحياة.** فالموت هنا تضحية فعلية، تضحية بكل راحة الإنسان وإرادته ومسرَّاته وملذَّاته وكرامته، كما مات المسيح متنازلاً عن كل ما له طاعةً لله أبيه، عنَّا ومن أجلنا.

- إذن، فالاستعداد للموت بالإرادة وبالممارسة "الجسدية" عن كل ما هو للحياة الأرضية، هو قوة التوبة، وهو المصدر الوحيد لإرادة التغيير. فبدون الاستعداد للموت لا يبلغ الراهب غايته من رهبانيته، ألاَ وهي الانتقال من شكل إلى شكل؛ من شكل جسداني ترابي إلى شكل روحاني يؤهِّله منذ الآن للحياة الأبدية في نور المسيح والقديسين.

- إذن، فإلهام الراهب اليومي لحياة التوبة والتغيير؛ يستمده من الصليب، صليب المسيح، والجسد مسمَّر عليه ومطعون، والدم يتقطَّر على الأرض، والشمس مختفية ونور العالم منحجب تماماً!!!

- في الصليب يستمد الراهب **إلهام التنازل** كلِّيةً عن الحياة الأرضية دفعةً واحدة.
- في الصليب يستمد الراهب **الخضوع** والطاعة التي مظهرها ألم وتمزيق وموت، وجوهرها راحة ومجد وسلام أبدي.

- في الصليب يستمد الراهب **الرِّضا** بواقعٍ مُرٍّ غاية المرارة في سبيل مستقبل سعادة أبدية.
- في الصليب يستمد الراهب **الاحتمال والصبر** على الانفصال عن الأصدقاء والأحباء والتلاميذ والأبناء والأُم والإخوة، في سبيل الدخول إلى عالم الروحانيين المملوء عزاءً أبدياً وآباءً وإخوة وأبناءً روحانيين أضعافاً مُضاعفة.
- في الصليب يستمد الراهب **إلهام الشكر** على فضيحة وظلم ومهانة ومذلة وتجديف وجحود يجوزها على يد الرؤساء والأصدقاء والتلاميذ في سبيل اكتساب طاعة الروح القدس حتى الموت.
- في الصليب يستمد الراهب **إلهام الصفح** من كل القلب عن الذين دبَّروا له المكيدة، والذين نفَّذوها سواء عن علمٍ أو عن جهلٍ، بقصدٍ صالح أو بقصدٍ شرير.
- في الصليب يستمد الراهب **إلهام الرجاء با لله** وحده، حتى لا يتبقى للراهب على الأرض كلها أي رجاء في إنسان أو أمل في مكان يرنو إليه ويستريح فيه إلاَّ يد الله وحدها: «في يديك أستودع روحي!!» (لو ٢٣:٤٦)

- وهكذا بقوة الصليب التي تؤازر الراهب يومياً في صلواته برفع عينيه ورفع يديه إلى السماء؛ يستمد قوةً يُمارس بها تنازله عن الحياة الأرضية، وخضوعه للألم، ورضاه بالمرِّ، وصبره على فراق

الناس جميعاً، وشكره على الإهانة والظلـم، وصفحـه للمسـيئين، ورجاءه بالله وحده!!!

• وفي كل واحدة من هذه ينسـلخ الراهـب عـن شـكله الجسـداني ليلبس شكله الروحاني، أي شكل المسيح وصفاته. لذلـك دُعِـيَ الراهب إما لابس المسيح، أو لابس الصليب، أو لابس الروح:

- فإذا برزت في حياته صفات الحـب والوداعـة والاتضـاع، دُعِـيَ لابس المسيح.
- أما إذا برزت في حياته عناصر الآلام والضيقات والأحزان، دُعِـيَ لابس الصليب.
- وإذا برزت فيـه أعمـال النعمـة ومواهـب الـروح القـدس، دُعِـيَ لابس الروح.

(١٩٦٩)

الأب متى المسكين

- ٤ -

نصائح وحدود للحياة الرهبانية

□✱✝✱□

الحضور إلى الكنيسة في كل مواعيد اجتماعاتها:

الكنيسة هي جسد المسيح السرِّي، وأنت تشرَّفت بأن تكون عضواً في هذا الجسد المقدس. الكنيسة وُلدت يوم الخمسين بالروح القدس كما المسيح تماماً، الذي وُلد من العذراء القديسة مريم ومن الروح القدس. لذلك اعتُبِرَت الكنيسة عذراءً عفيفة، وأنت تطهَّرتَ في جُرنها المقدس.

النظام الرهباني كان ولا يزال دعوة مقدسة يدعو إليها الروح القدس كل الذين أحبوا الكنيسة ليُجدِّدوا في أنفسهم عضويتها ويجدِّدوها بطهارتهم. فالرهبنة، إذا قرأتَ (أع ٢: ٤٢-٤٧)، تجدها هي هي الكنيسة الأولى يوم وُلِدت بكل خصائصها. فيومَ قبلتَ الدعوة ودخلت الدير، كان هذا بمثابة دعوة المسيح لرسله الأطهار القديسين؛ ويومَ قبلتَ خلع ثوب العالم ولِبْس الإسكيم والمنطقة بيد الملاك، كان هذا تجديداً ليوم الخمسين وميلادًا جديداً لك، حيث قبلتَ اسماً جديداً لحياة جديدة في ملء الروح، فأخذتَ تجديد عضويتك وأَخَذَتْ الكنيسة بك تجديد ميلادها. وعليك - بحسب كلام القديس أنطونيوس المملوء بالروح - أن تحفظ ثيابك الجديدة الروحية، لئلا

تمشي عرياناً يوم الحُكْم. وثيابك الجديدة هي الثوب الذي ستحضر به حفلة العُرْس يومَ تُزَفُّ الكنيسة لعريسها، وأنت تعلم عن الذي دخل إلى العُرْس وليس عليه ثياب العُرْس، وما أصابه من شدة وعنف وخسارة فادحة.

ومنطقتك التي ألبسها لك ملاك دعوتك هي القوة الروحية التي تشدُّ بها وسطك في تقديم العبادة حسب أصولها بالروح، لأن عبادة الجسد فقط لا تنفع شيئاً، فالروح هو الذي يُحيي الجسد وأعمال الجسد بالتالي. لذلك فكل أعمال الجسد - مهما كانت - إذا عُملت بالروح صارت عبادة مقبولة يطلبها الآب السماوي. فاحرسْ منطقتك لئلا يخطفها منك شيطان الكسل وإخوته المناكيد الأردياء أعداء الراهب الأشداء: شيطان التذمر، وشيطان الدينونة اللعين، وشيطان ادِّعاء المرض والضعف، وألعنهم جميعاً شيطان الغضب، وأخوه الأكبر شيطان الحقد والعداوة الحامل على يديه حبل المشنقة. والراهب العمَّال بالروح يغلبهم جميعاً ويسخر من مناوشاتهم، لأن يديه في كل حين على منطقته يشدُّها ليوجد ساجداً، وبالتالي مُمسكاً بالرحمة الإلهية.

حضورك للكنيسة وأنت بهذا الحال النشيط يُفرح الملائكة بك، حيث يُعطِّرونك ببخور صلوات الأرواح المُبرَّرة في المجد والحاصلة على إذن الحضور لمشاركة الكنيسة المجاهدة ولمؤازرة أعضائها في جهادهم اليومي؛ وبذلك تنال أنت قوة مُضاعفة وتغتذي كل مرة من مائدتها بالخبز الحيّ وبالدم المُحيي، قوام الجسد الروحي وطعام الحق والحياة

الأبدية؛ وتملأ روحك بتسبيحات أورشليم السمائية المختلطة بأنغام خورس الأرضيين؛ وبذلك أيضاً تتدرب على حفظ تسبحة موسى النبي التي لخورس الأبكار. وحينما تشترك في تلاوة المزامير تتأيد بقوة ملائكة المزامير، كلٌّ في دائرة عمله واختصاصه، فتخرج من الكنيسة مفعماً بعبيق السمائيين مُحصَّناً بشفاعتهم محروساً بملائكة وأرواح قديسة. فانظر كم خسارة تخسر كل مرة ترجِّح فيها راحة الجسد على ملء الروح؟!

حضور المائدة:

المائدة هي تكميل الإفخارستيا، هي كَسْر خبز الأغابي بعد نوال الشركة في خبزة الحياة؛ حيث بعد أن ننال كمال غذاء الروح لحياة ما فوق، نجلس لنسند الجسد بكسرة خبز الجسد الممزوجة بنعمة المحبة التي تجعل الجسد يعمل بقوة الروح ومشورته، وتجعل الفرح له قوة الجماعة، وتحل عليه روح الأغابي ليعمل بها ويعيش فيها، لينتقل كل يوم "من الموت إلى الحياة". لأن هذه هي قوة "محبة الإخوة" حسب وعد الوحي المقدس من فم القديس يوحنا، حيث يُقرأ "بستان الرهبان"، فتتسلل كلمات الحياة الأبدية لتدخل أعماق الروح في مخازن الوعي المسيحي ليجترَّها الإنسان طول النهار ويتاجر بها. ولقمة المائدة قد تكون يابسة ولكنها أفخر من أطعمة الملوك، لأنها معجونة بدسم السماء الذي يُشبع الأجساد العليلة ويزيح الغم والكرب عن النفس الحزينة، فلا تقايضها بطعام أفخم شكلاً وطعماً لا يفيد شيئاً من جهة

الجعالة العُليا التي تركض نحوها.

حضور كلمات الوعظ والدروس والألحان:

كما يُشدُّ الوتر في القيثارة ليتناغم مع بقية الأوتار ليخرج منها نغم النشيد الواحد المُقدَّم لملك الملوك ورب الأرباب؛ هكذا تنمو النفس والروح حينما تتغذى بكلمة الحياة، وتتعلم الكلام الذي تخاطب به الله بمفردها وتقدِّم له ذبيحة التسبيح في وسط الجماعة.

واعلمْ أن الروح الذي يفتح الآذان وينير العيون هو على ميعاد معك في كل مرة تأتي فيها إليه أو تجلس بمسرة وخضوع لتسمع كلمة الحياة وأنغامها. فلا تُفضِّل العبادة الفرِّيسية عن لحظات الاجتماع، لأن فيها مُخبَّأً لك نصيبان عِوَض نصيب واحد.

حدود للحرية لا يتعدَّاها الراهب:

هذه الحدود ليست أوامر ولا هي نواهٍ ولا هي حتى وصايا، ولكنها حدود؛ بمعنى أنها توعية للحدِّ الذي إذا تجاوزه الراهب تعرَّض لخطر الابتلاع بحيل العدو، فهي مُقدَّمة لك للخير والحياة: «قد جعلت قدَّامك الحياة والموت... فاختْر الحياة لكي تحيا» (تث ٣٠:١٩):

- تُمنع الاجتماعات في القلالي، في الدير أو خارج الدير. فكل اجتماع بغير ترتيب الأب الروحي أو حضوره تصبح فيه فرص عديدة وأبواب مفتوحة ليلعب الشيطان لعبته بآلاف الطرق ليضرب الجماعة كلها. فهوذا الآن نحن نغلق هذه الأبواب لينفتح الباب الواحد أمام الراهب، الذي هو باب الرب؛ حيث

يدخل الصدِّيقون فيه.

- انتبه غاية الانتباه للعدو المختبئ داخل الدير **الآن** والمُرسَل من العالم لاختطاف نفسك ليعود بها إلى حمأة الطين. هذا العدو هو شيطان الدينونة الذي يتزيَّا بزيِّ كلمات النصيحة واللطف والحكمة المُصطنعة والدراية والخبرة والمهارة على ألسنة رهبان رضوا أن يخدموا في إدارته ويكهنوا لحسابه. فافرز الكلمات، وكل كلمة ليس فيها رائحة المحبة ارفضها بشجاعة، وكل حديث فيه ذمٌّ أو نَمٌّ أو تذمر أو التعريض بسمعة أخ قريب أو بعيد لا تسمعه حتى آخره؛ بل اقطعه واهرب لحياتك: «لا تدينوا لكي لا تُدانوا» (مت ١:٧)، «باركوا ولا تلعنوا.» (رو ١٢:١٤)

- لا تسمع ولا تشترك في حديثٍ عام لا يخص خلاصك وحياتك، لأنه سيتطور بالمتكلِّم والسامع للدخول في الدينونة أو الحكم على الناس أو الأمور التي هي من اختصاص الله: «لا تحكموا في شيء قبل الوقت.» (١كو ٤:٥)

- لا تدخل المجلات أو الجرائد للدير، ولا يقرأها الراهب، حتى إذا قيل له إنها هامة. **فأخبار العالم** لأهل العالم، ومجلتنا هي الإنجيل الذي هو الأخبار السارة، والجرائد اليومية هي أعمال الرب معنا المتجدِّدة يوماً بيومٍ، ومعوناته ساعة بساعةٍ، وسَتْره الدائم وحبه الأبدي التي يتوه فيها العقل، ولا يكفيها قراءات لساعات العمر كله.

- لا تدخل أيها الراهب بيوت الناس وتقتحم أسرار الأُسَر، لأن هذا ليس عملك الذي لبست الإسكيم لتخدمه. يوجد كهنة مُكرَّسون لخدمة أسرار النساء والأُسَر وأحوالهم، وعليهم وضعت الكنيسة مسئولية خدمة الأُسَر وحاجاتهم. فالبثْ أنت في الدعوة التي دُعيت فيها والْزَمْ حدودها، لئلا تندم في النهاية وتلعن يوم رهبنتك. ولا تعود إلى بيت أهلك أو تحمل همَّهم أو تنشغل بأمورهم التي عتقك الله منها، لتحمل همَّ الروح القدس الذي يحمل همَّك والذي يُحوِّل همومك إلى تعزيات تُلذِّذ نفسك.

- اعلمْ أنه بتقواك وطهارة قلبك وصلاتك وخلاصك يخلص أهل بيتك دون أن تراهم أو يروك. ولا تنسَ مَنْ قال لك مشترطاً: «كل مَنْ **ترك** بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أُماً أو امرأة أو أولادًا أو حقولاً من أجل اسمي، **يأخذ** مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية. ولكن كثيرون أوَّلون يكونون آخِرين، وآخِرون أوَّلين.» (مت ١٩: ٢٩و٣٠)

- فالآن، إن كنتَ تركتَ اسم العالم وميراثه، وأخذتَ اسم وميراث التاركين، فلماذا تنقض العهد الذي تعهَّدتَ به؟ احترس لئلا بعد أن تكون من الأوَّلين تصير أخيراً مع الآخِرين الحانثين. ولا تقايض ميراث السمائيين بميراث الأرضيين، ولا تجعل عواطف الجسد ومجاملات الناس تُطفئ الروح الذي فيك

وتحرمك من نصيبك السماوي المعدِّ مع أصحاب المائة - وليس أصحاب الثلاثين أو الستين - المحفوظ لك في السموات.

حدود المال والقنية:

المال هو سلعة العالم ومجده الزائل، وهو - على كل حال وفي نهاية كل حال - مدعوٌّ من الله "**مال الظلم**" (لو ١٦: ٩و١١)، ومدعوٌّ بالروح من القديس بولس أن محبته هي «**أصل لكل الشرور**، الذي إذ ابتغاه قومٌ **ضلُّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاعٍ كثيرة**» (١تي ٦: ١٠). فإن كنتَ قد تركتَ العالم فلا تعبث بلعبته القاتلة.

أنت لك "قوتٌ وكسوة" فاكْتفِ بهما، كما ينصح القديس بولس الرسول تلميذه تيموثاوس، ويعود ويحذِّره أن كل الذين لهم شهوة اقتناء المال وأمور العالم «**يسقطون في تجربةٍ وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرَّة، تُغرِّق الناس في العَطَب والهلاك.**» (١تي ٦: ٨و٩)

فكل راهب أُعطي مالاً ليشتري به شيئاً للدير، فليكن أميناً عليه غاية الأمانة، لأنه سيُسأل عن أمانته ليس من الدير بل من الله: «فإن لم تكونوا أُمناء في مال الظلم، فمَنْ يأتمنكم على الحق؟» (لو ١٦: ١١). أي أنك إذا نجحت في اختبار أمانة المال، فسوف تؤتمن على الحق الذي هو اسم الله وربنا يسوع المسيح. فإذا عاد الراهب ببقية من هذا المال، فليسلِّمها في الحال ولا تبيت في قلايته حتى لا يُسلِّم نفسه لشهوته لئلا يسقط في عبادته: «**الأمين في القليل أمينٌ أيضاً في الكثير**» (لو ١٦: ١٠). والقليل هو ما للعالم، والكثير هو ما

لله دائماً. ولكن يستحيل، يستحيل، يستحيل أن تستطيعوا أن "تخدموا الله والمال"، حتى ولو نجحتم في البداية: لأنه «**لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيِّدين**، لأنه إما أن **يُبغض** الواحد **ويُحبَّ الآخر**، أو **يُلازِم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**» (مت ٦:٢٤). فإن كان الرب يسوع المسيح قد خيَّرنا بين نفسه وبين المال، وجعل المال هكذا غريماً له؛ فهيَّا، أيها الإخوة، نضع حدًّا لهذا الخصم العنيد لسلامنا وخلاصنا الذي يُنازعنا في إلهنا، ولا تأمنوا للمال بعد اليوم!

المبيت خارج الدير:

سواء كان هذا المبيت في مصر أو الإسكندرية أو أي بلد آخر أو في القلالي خارج الدير. فليكن في علم الراهب أن للمجمع كياناً شخصياً، فهو صورة حيَّة للكنيسة المولودة من الروح القدس، وهو بالتالي جسد المسيح السرِّي الذي يحيا ويتحرك بالروح القدس، المحفوظ بالعناية الإلهية والمحوط بأرواح القديسين وملائكة وقوات. فالأب الروحي ينام ملء جفنيه وبراحة قلبه حينما يُقفل باب الدير لينام الرهبان في قلاليهم تحت العين الساهرة عليهم، عين الذي قال: «**مَنْ يمسُّكم يمسُّ حدقة عينه**» (زك ٢:٨). فالراهب الذي يسافر لقضاء حاجات الدير، فيخرج ليبيت خارج الدير، تصير له ترتيبات سماوية ليُحفظ بمعونة خاصة من الله وبصلاة المجمع وطلبة وقلب جَزِع، حتى يعود سالماً. فليس هيِّناً في النظام الرهباني خروج راهب خارج الدير، لأن العدو كذئب والراهب كحَمَل صغير، وإمكانية ابتلاعه وهو

خارج الحظيرة سهلة على الذئاب، وبآلاف الطرق يمكن إغراؤه، ليس من الضروري في ليلة أو شهر أو سنة، ولكل راهب فخ يُناسبه وأعداء يتربَّصونه.

لذلك، لا يُسمح للراهب بالمبيت خارجاً، خاصة إذا كان بحجة الانفراد والخلوة والعبادة على المدى، إلاَّ إذا كانت له **دراية بحروب الأقوياء، وشهادة أكيدة من الأب الروحي، وموافقة من المجمع؛** وهذا يُشيِّع بالصلاة ليعيش عمره متوحِّداً. وهذا منتهى أمل الأب الروحي أن يصبح الدير كله أو نصفه عُبَّادًا متوحدين، حينئذ يعود النظام الرهباني إلى نقطة الابتداء المتوهجة بالنعمة والروح القدس. أما حالياً، فالقلالي التي خارج الدير تصير للراحة أثناء النهار للعاملين خارجاً فقط، وفقط لا غير بصفة عامة. على أن يُدرِّب الأب الروحي بعض الرهبان على حياة التوحُّد قليلاً قليلاً حسب نمو قامتهم الروحية بالنسبة للمجمع كله في التواضع والوداعة والطاعة الحميدة أُم الفضائل.

التذمُّر من جهة العمل:

خلفية الذهن عند الراهب بحسب فكر العالم والتقليد العامي الميِّت أنه يأكل وينام ولا يعمل بحجة أنه ترك العالم، والعُذر المكشوف: لكي يتفرَّغ للصلاة.

أما بحسب فكر الآباء، وخاصة الأب القديس أنطونيوس، أن لا تشفق على جسدك في العمل، وأن العمل هو الوجه الآخر السليم لحياة

الروح القوية. أما القديسون الذين عاشوا متوحدين وكُتبت قصة حياتهم بقلم غيرهم، فتُصوِّرهم هذه القصص وكأنهم كانوا بلا عمل، وهذا غير صحيح، لأننا نعلم علم اليقين أنهم كانوا يُعذِّبون أجسادهم بوسائل كثيرة حتى يتخلَّصوا من فائض طاقته. ومن خبرتي السابقة، كنتُ أسير كل يوم ما لا يقل عن نصف نهار حتى أعود إلى مغارتي منهوك القُوَى، وكان في ذلك سرُّ راحتي واستقامة عبادتي.

أما خبرتنا في المجمع يوم أن دعانا الله لنعيش في دير أنبا مقار، فتتلخَّص في أن الروح القدس يعمل معنا بصورة إعجازية تماماً، فهو يُشجِّع ويُقوِّي ويُهوِّن الأمور العسيرة، وهو يُدافع عنا ويفتح لنا الأبواب المغلقة، ويُرسل لنا أكثر مما يلزمنا في العمل وعلى أحسن مستوى من الإتقان والجودة وآخر ما يصل إليه التطوُّر العلمي. نطلب واحداً يُرسل عشرة، نطلب عشرة يُرسل ألفاً، نطلب ألفاً يُرسل ربوة: مالاً وأدواتٍ ومعرفة ونعمة فوق نعمة. باختصار، نحن جميعاً لمسنا الروح القدس في أعمالنا، فعرفنا وتيقَّنا أنه موافق على أعمالنا؛ بل هو الذي يُمهِّد لها من بعيد جداً ومُسْبقاً من جهة الزمن، ويُعطي كل ما يلزم لكل عمل من فهم وبصيرة وصبر ليُحقق بنا نجاحاً لا يمكن أن يُعادِل إمكانياتنا بل يفوقها بما هو فعلاً للروح القدس. فالمعادلة واضحة، والنتيجة ناطقة والشهادة صارخة.

ولكن الذي يُذهلني ويُنكِّد عليَّ نجاحنا، هو أني أرى الروح القدس عياناً بياناً في أعمالنا عاملاً، وفي أقوالنا ناطقاً، ولكني لا أرى الروح عاملاً

في القلوب والضمائر والنيَّات والسلوك بقدر عمله في الأعمال التي نعملها. فالآن أسأل: هل الروح مغرم بالأعمال، وليس عاشقاً للأرواح والقلوب؟ أم أنه يعمل الأعمال لتتيقظ الضمائر والقلوب لتمسك به ولا ترخيه حتى يُجدِّد الحياة ويملأ النفس ببهجة الخلاص وفرح الله؟ فالآن، لا تُحزنوا الروح القدس الذي يعمل معكم ليل نهار ليشهد لنعمة المسيح المُرسلة إليكم. وكما وجدتموه في كل عمل عملتموه، تمسَّكوا بحقِّكم أن يعمل فيكم ليكمل رسالته فيكم وهي أن تكونوا شهودًا للمسيح معه وبه، وأن تكونوا آلاتٍ لاستعلان برِّ المسيح ومجده في العالم.

وأنا لا أتكلَّم الآن عن فائدة العمل - حتى الشاق منه - بالنسبة لصحة الجسد والنفس، والكلام في هذا كثير جداً ومُقنع للغاية؛ ولكني أتكلَّم الآن فقط عن سرِّ وجود الروح القدس في العمل تمهيداً منه للانتقال من أمانة العمل لملء الروح وتجديد أعضاء الجسد وتقديسها، لحساب الشهادة للمسيح ولاستعلان قوة المسيح ونوره في العالم.

فانتبهوا لحركات الروح القدس التي تظهر كل يوم في جميع الأعمال، لتثقوا أنه حاضر معكم في أيديكم وأفواهكم حتى تغتصبوه ليدخل إلى قلوبكم، ليُقدِّس أرواحكم وأجسادكم، ويُنير ضمائركم وأذهانكم، لتصيروا أنتم شهودًا معه للمسيح.

(يوليو ١٩٨٧)

الأب متى المسكين

توجيهات رهبانية

صدر منها:

١) التحوُّلات الروحية السويَّة في حياة الراهب ومواطن الإخفاق والنكوص.

٢) إرشادات روحية للرهبان.

٣) توجيهات ونصائح رهبانية.

اقرأ في نفس الموضوع:

١. حبة الحنطة

٢. نصائح لرهبان جدد واختبار الله في حياة الراهب

٣. حاجتنا إلى المسيح

٤. في تعليم المبتدئين